الإحالةُ وأثرُها في اتّساقِ النّصِّ
في خطبتي السّيدةِ زينبَ –عليها السّلام–في الكوفةِ والشّامِ
(دراسةٌ نصيّةٌ)

م. د. ستار هويدي علي حريميس الحسناويّ
الكليّة التّربويّة المفتوحة / مركز كربلاء الدراسيّ

البريد الإلكتروني Email : sttar6083 @gmail.com

الكلمات المفتاحية: الإحالة ، النص ، خطبتي الكوفة والشام ، زينب عليها السلام ، الشام.

كيفية اقتباس البحث
الحسناويّ، ستار هويدي علي حريميس ، الإحالةُ وأثرُها في اتّساقِ النّصِّ في خطبتي السّيدةِ زينبَ –عليها السّلام–في الكوفةِ والشّامِ (دراسةٌ نصيّةٌ)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آب ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٨ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Reference and Its Impact on Text Coherence in Lady Zainab's -peace be upon her- Sermons in Kufa and Sham: A Textual Study

Dr. Sattar Huwaidi Ali Huraimis Al-Hasnawi
The Open Educational College / Karbala Study Center

Keywords : reference, text, coherence, sermon, Zainab, peace be upon her ،Syria.

How To Cite This Article
Al-Hasnawi, Sattar Huwaidi Ali Huraimis , Reference and Its Impact on Text Coherence in Lady Zainab's -peace be upon her- Sermons in Kufa and Sham: A Textual Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, August 2026,Volume:16, Issue 8.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study aims to investigate the use of reference as a cohesive device in the two sermons of Lady Zaynab (peace be upon her), analyzing its textual and semantic functions and examining its role in achieving textual cohesion. It further explores its contribution to discourse construction and meaning-making through the theoretical frameworks of text linguistics and discourse analysis, with the objective of attaining a deeper understanding of the textual and rhetorical features that characterize these two immortal sermons.

Hence, this research seeks to uncover the manifestations of reference in the two sermons of Lady Zainab, peace be upon her, and to analyze their textual and semantic functions, and to demonstrate their effect in achieving textual coherence and clarifying their effect in constructing discourse and directing meaning, employing the data of textual linguistics and discourse analysis methods to reach a more accurate understanding of the textual and linguistic characteristics that distinguish these two immortal sermons.

The study is organized into an introductory section and four chapters. The introductorysection, entitled"Introductory Foundations," addresses two topics: the concept of reference, and) the sources and chains of transmission of the two sermons. The first chapter examines reference through pronouns in Lady Zaynab's (peace be upon her) two sermons. The second chapter investigates reference through demonstrative expressions, while the third chapter discusses reference through relative pronouns. The fourth chapter is devoted to reference through comparative devices in the two sermons. The study concludes with a summary of the major findings, followed by a bibliography of the primary and secondary sources that contributed to the completion of the research

ملخص البحث

يهدف هذا البحثُ إلى تسليط الضّوء على وسيلة الإحالةِ في خطبتي السّيدةِ زينبَ عليها السّلام وتحليل وظائفها النّصيّة والدّلاليّة ، وتجلّي أثرها في تحقيق الاتّساق النّصيّ وإظهاره في تشييد الخطاب وتوجيه المعنى عبر المعطيات اللّسانية النّصيّة وأدوات تحليل الخطاب للولوج إلى فهم أعمق للخصائص النّصيّة والبلاغيّة التي تميّز هاتين الخطبتين الخالدتين .

ومن هنا يسعى هذا البحث للكشف عن مظاهر الإحالة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام وتحليل وظائفها النّصيّة والدّلاليّة ، وبيان أثرها في تحقيق الاتّساق النّصيّ وتجلية أثرها في بناء الخطاب وتوجيه المعنى موظفًا معطيات اللّسانيات النّصيّة ومناهج تحليل الخطاب للوصول إلى فهم أدقّ للخصائص النّصيّة واللّسانيّة التي تميز هاتين الخطبتين الخالدتين .

وقد شرعت في تقسيم بحثي على مهاد ، وأربعة مباحث، أمّا المهاد : (مداخل تعريفية) فتناولت فيه : (أولاً : مفهوم الإحالة، ثانيًا: مصادر الخطبتين وسندهما) ، وفي المبحث الأول : درست (الإحالة بالضّمائر في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) واحتوى المبحث الثاني : (الإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) وتصديت في المبحث الثالث : إلى (الإحالة بالأسماء الموصولة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) ، أمّا المبحث الرابع فتناولت فيه (الإحالة بأدوات المقارنة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) وقد ذُيل البحث بخاتمة ضمت أبرز النّتائج التي توصل إليها البحث ثم قائمة بروافد البحث من المصادر والمراجع التي أرشدت الباحث لإتمام بحثه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

وبهِ نستعينَ والصّلاة والسّلام على أشرف خلقه أجمعين المُرسَل بالنّور المبين محمّد النّبيّ الأمين وعلى آله الطّاهرين حجج إله العالمين وحاملي راية الدّين ، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا .

أمّا بعدُ :

فيُعدُّ علم اللّغة النّصّيّ من أبرز المناهج اللّسانيّة الحديثة التي تجاوزت حدود دراسة الجملة إلى دراسة النّصّ ، بوصفه وحدة دلاليّة متكاملة تقوم على شبكة من العلاقات التي تضمن ترابط أجزائه وانسجامها .

وتُعدُّ الإحالة من أبرز الوسائل النّصيّة التي تشارك في تحقيق الاتّساق داخل النّصّ ؛ إذ تؤدّي أثرًا مركزيًا في ربط أجزائِه وإحكام بنائِه ، فتربط بين عناصر النّصّ من طريق إحالة الألفاظ على مراجعها فتمنع التّكرار وتحكم بناء النّصّ وتيسّر على المتلقي تتّبع مسارات المعنى واستيعاب المقاصد .

وتتجلّى أهميّة دراسة الإحالة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام في –الكوفة والشّام– لما تمتازان به من ثراءٍ لغويّ وعمق دلاليّ وقوةٍ حجاجيّة فضلًا على كونهما من أهم النّصوص الخطابيّة في التّراث الإسلاميّ ، فالخطبتان قد اتصلتا بمنعطف تاريخيّ لا يبلى ولا يُنسى أبد الدّهر ، وقد أحسنت السّيدة زينب عليها السّلام توظيف وسائل الإحالة بمختلف صورها ، ولا سيما الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات المقارنة ، ما شارك في إحكام البنيّة النّصيّة وربط أجزاء الخطبتين وتعزيز وظائفهما الإبلاغيّة والإقناعيّة .

ومن الجدير بالذّكر أنّ الإحالة وسيلة من وسائل الاتّساق النّحويّ وهذه الوسائل هي (الإحالة والحذف والرّبط والاستبدال) والاتّساق النّحويّ جزء من عنصر الاتّساق الذي بدوره يقسم على (الاتّساق النّحويّ والاتّساق المعجميّ) ، والاتّساق هو أحد عناصر علم اللغة النّصيّ ، وبعد الفحص والتّفتيش في فقرات الخطبتين وجدنا أنّ شواهد الإحالة –لوحدها– في الخطبتين كفيلة بتغطية البحث ، لذا استقر عنوان البحث على (الإحالةُ وأثرُها في اتّساقِ النّصِّ في خطبتي السّيدةِ زينبَ عليها السّلامُ في الكوفةِ والشّامِ ، دراسةٌ نصيّةٌ) وقد اعتمد البحث في استخراج نصوص الخطبتين على كتاب (الملهوف على قتلى الطفوف ، لأبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ) تحقيق وتقديم: فارس تبريزان الحسون ، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران ، ط٥ ،١٤٣٤هـ) .

ومن هنا يسعى هذا البحث للكشف عن مظاهر الإحالة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام وتحليل وظائفها النّصيّة والدّلاليّة ، وبيان أثرها في تحقيق الاتّساق النّصيّ وتجلية أثرها في بناء الخطاب وتوجيه المعنى موظفًا معطيات اللّسانيات النّصيّة ومناهج تحليل الخطاب للوصول إلى فهم أدقّ للخصائص النّصيّة واللّسانيّة التي تميز هاتين الخطبتين الخالدتين .

وقد شرع الباحث في تقسيم البحث على مهاد ، وأربعة مباحث[١]، أمّا المهاد الذي يحمل عنوان : (مداخل تعريفية) فتناولت فيه : (أولاً : مفهوم الإحالة، ثانيًا: مصادر الخطبتين وسندهما ، وفي المبحث الأول : تعرضت إلى (الإحالة بالضّمائر في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) وتضمّن المبحث الثاني : (الإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) واحتوى المبحث الثالث : (الإحالة بالأسماء الموصولة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) ، أمّا المبحث الرابع فتناولت فيه (الإحالة بأدوات المقارنة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام) وقد ذُيل البحث بخاتمة اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ثم قائمة بروافد البحث من المصادر والمراجع التي اتكأ عليها الباحث في إنجاز بحثه .

وفي الختام أرجو من العليّ القدير القبول والتوفيق وأسأل الله تعالى شفاعة نبيه المصطفى وأله الأطهار ولاسيما فخر المخدرات زينب عليها السلام .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبينا محمّد وآله الأطهار .

المهاد : مداخل تعريفية :

أولاً : مفهوم الإحالة :

تُعدّ الإحالة رابطًا مهمًا ذات أثر فعّال في اتّساق النّصّ وربط مكوناته بعضها ببعضها الآخر ، لذا علينا أن نعرّف بها ، لغةً واصطلاحاً .

الإحالة لغةً :

كلّ مصطلح من المصطلحات يجب أن يكون له معنًى لغويًّا يُجترح منه المعنى الاصطلاحي وتدلّ الإحالة في أكثر معجمات اللغة على معاني التحرك والتحويل، والنقل والتوجيه ، جاء في معجم المقاييس :((الحاء والواو واللام أصلٌ واحد، وهو تحرُّكٌ في دَوْرٍ، فالحَوْل العام، وذلك أنَّه يَحُول ، أيّ : يدور... وحال الشّخصُ يَحُول، إذا تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّلٍ عن حاله))[٢] وتأتي بمعنى نقل الشّي إلى شيء آخر للتّغيير، ذكر الزّبيديّ (ت١٢٠٥هـ) : ((أحال الشّيء تَحوَّلَ مِن حالٍ إِلَى حالٍ. أَو أحالَ الرجُلُ: تَحوَّلَ من شَيْء إِلَى شيءٍ))[٣] ، نلحظ من النّصين السّابقين أنّ المعنى اللّغويّ للإحالة يدور حول التّحرّك والتّحوّل والنّقل ، وقد ذكرها ابن منظور(ت٧١١هـ)

بمعنى التّوجيه ، قائلًا : ((يُقال : أحلتُ فلانًا بما لهُ عليّ ، وهو كذا درهمًا ، على رجلٍ آخر لي عليه كذا دِرهمًا أُحيله إحالةً فأحتال بها عليه))[٤] .

الإحالة اصطلاحًا :

تكاد تقترب الإحالة اصطلاحًا من مفهومها اللّغويّ بوصفهما يقومان على معنى التّحوّل والتّحرك والتّنقل والتّوجيه ، فالإحالة في اللّغة تدلّ على التّحول من شيء إلى شيء آخر أو التوجه من جهة إلى أخرى ، أمّا في الاصطلاح فهي آليّة نصيّة ترشد المتلقي إلى عنصر سابق أو لاحق في الجملة أو العبارة ، أو إلى شيء خارجها ، وعليه فالدلالة الاصطلاحيّة لها لم تبتعد عن الأصل اللغويّ كثيرًا ، وإنّما قيّدته لتجعله ضمن علم النص ؛ فأصبحت الإحالة وسيلة لاتّساق أجزاء النّصّ ، وقد حدّها علماء النّصّ بعبارات مختلفة بحسب اختلاف مشاربهم المعرفيّة ، فعرّفها جون لاينز على أنّها :((العلاقة بين الأسماء والمسمّيات))[٥] ، وحدّها روبرت ديبوجراند بعبارات أدقّ قائلاً : ((هي العلاقة بين العبارات ، والأشياء ، والأحداث ، والمواقف في العالم الذي يدلّ عليه بالعبارات))[٦] ، وهذه العلاقة تعني وجود عناصر لغويّة غير مكتفيّة بذاتها من ناحية التّأويل وإنّما تحيل على عنصر آخر ، لذا تدعّى هذه العناصر عناصر مُحيلة نحو: الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة[٧].

وتحصل الإحالة عند وجود النّصّ القبليّ أو البعديّ الذي يعني العنصر المهم في النّصّ أو الجملة الأولى التي غالبًا ما تُعاد أو تتكرّر داخل النّصّ عبر الضّمائر المحيلة إلى مذكور سابق أو لاحق[٨] أو عبر أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة[٩] ومن الجدير بالذّكر أنّ الدّارسين اختلفوا في عناصر الإحالة فمنهم من يقصرها على الضّمير[١٠] ومنهم من يطلقها على العناصر الثلاثة السّابقة الذّكر[١١] ومنهم من يضيف أدوات المقارنة بوصفها عنصرًا رابعًا من عناصر الإحالة[١٢] ، وهو ما تبنّاه البحث ، وتقسم الإحالة على قسمين ، هما :

أولاً : الإحالة الدّاخليّة (النّصيّة) : وهي إحالة الأدوات اللّغويّة الواردة في النّصّ وتقسم على قسمين :

١–الإحالة على السّابق (الإحالة القبليّة) : وهي توظيف كلمة تشير إلى كلمة أخرى سابقة في النّصّ ، ويعوض عنها بالضّمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول .

٢–الإحالة على اللّاحق (الإحالة البعديّة) : وهي الرّجوع إلى عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النّصّ ولاحق عليه ، أو هي توظيف كلمة تشير إلى كلمة أخرى ، ستستعمل لاحقًا في النّصّ[١٣] .

ثانيًا: الإحالة المقاميّة (الخارجيّة) : وهي إحالة على خارج النّصّ أي ((إحالة عنصر لغويّ على عنصر إشاريّ غير لغويّ موجود في المقام الخارجيّ ، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على صاحبه المتكلم ، بحيث يرتبط عنصر لغوي إلى المقام نفسه))[١٤]

وقد فرّق علماء النّصّ بينهما ؛ فـ ((الإحالة المقاميّة تسهم في إنتاج النّصّ ؛ لكونها تربط اللّغة لسياق المقام ، في حين تقوم الإحالة النّصيّة (الداخلية) بدور فعال في اتساق النص))[١٥] .

وللإحالة حضور واضح في خطبتيّ السّيدة زينب –عليها السّلام– ممّا يدلّ على ترابط أجزاء الخطبتين وسيتكفل البحث بتوضيح ذلك عبر تناولنا لأدوات الإحالة كلّ في محلّه.

ثانيًا: مصادر الخطبتين وسندهما:

– خطبة السّيدة زينب –عليها السّلام– في أهل الكوفة:

إنّ هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي رواها الخاصّة والعامّة ومن أبرز العلماء الذين ذكروا هذه الخطبة الشّريفة هم :

١– ابن طيفور (٢٨٠هـ) صاحب كتاب بلاغات النّساء[١٦] لكنّه نسبها إلى أمّ كلثوم ويقصد بها غير زينب عليها السلام ؛ لأنّه أدرج هذه الخطبة تحت عنوان ((كلام أمّ كلثوم –عليها السّلام–)) بينما أدرج خطبة السّيدة زينب –عليها السّلام– في الشّام تحت عنوان ((كلام زينب بنت علي بن أبي طالب)) مفرّقًا بين زينب وأمّ كلثوم ومن المعلوم أنّ أم كلثوم هي إحدى بنات أمير المؤمنين –عليه السّلام– من فاطمة –عليها السّلام– وهي غير زينب ولكنّ السّيدة زينب –عليها السّلام– لُقبت أيضًا بأمّ كلثوم إذ ((كُنيت السّيدة زينب عليها السّلام بأم كلثوم وأم الحسن)) [١٧] فيبدو أنّ اطلاق لقب أمّ كلثوم على السّيدة زينب –عليها السّلام– هو الذي أوقع ابن طيفور في هذا اللّبس .

٢– أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس(ت٦٦٤هـ) في كتابة (الملهوف على قتلى الطّفوف) فقد جاء في كتابه : ((قال بشير ابن خزيم الأسديّ: ونظرت إلى زينب بنت علي – عليه السّلام– يومئذ فلم أرَ خفرةً والله أنطق منها، كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد أومأت إلى النّاس أن اسكتوا فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت: الحمد لله والصّلاة على أبي محمّد وآله الطّيبين الأخيار))[١٨] إلى آخر الخطبة .

٣– وقد وردت هذه الخطبة أيضًا في كتاب مقتل الحسين –عليه السّلام– للعلامة السّيد عبد الرّزاق الموسويّ المقرّم وقد جاء في كتابه : ((يقول الرّاوي لما أومأت زينب ابنة عليّ –عليه السّلام– إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات

جأش وشجاعة حيدريّة فقالت –صلوات الله عليها– الحمد لله والصّلاة على أبي...))[١٩] إلى نهاية الخطبة المباركة .

–خطبة السّيدة زينب –عليها السّلام– في مجلس يزيد (لعنه الله) في الشّام .

١– إنّ من أقدم المصادر التي روت الخطبة المباركة هو كتاب بلاغات النّساء لابن طيفور تحت عنوان (كلام زينب بنت علي بن أبي طالب –عليه السّلام–) إذ جاء في كتابه : ((لما كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي –عليهما السّلام– الذي كان ، وانصرف عمر بن سعد – لعنة الله– بالنّسوة والبقية من آل محمّد –صلى الله عليه واله – ووجههن إلى ابن زياد –لعنة الله– فوجههن هذا إلى يزيد – لعنه الله وغضب عليه– فلما مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين –عليه السّلام– فأبرز في طست فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ويقول: يا غراب البين أسمعت فقل... فقالت زينب بنت علي –عليهما السّلام– صدق الله ورسوله يا يزيد كذلك يقول: ثُمّ كانَ عاقبةَ الذينَ أساؤوا السُّوأى أنْ كَذَّبوا بآياتِ اللهِ وكانُوا بها يَستهزِئُون . أظننت يا يزيد...)) [٢٠] .

٢– وقد وردت في كتاب مقتل الحسين للسّيد عبد الرّزاق الموسويّ المقرّم إذ قال : ((قال ابن نما وابن طاووس لما سمعت زينب بنت علي –عليها السّلام– يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى : ليت أشياخي ببدر... قالت الحمد لله رب العالمين))[٢١] .

٣– وقد روت كتب التأريخ بعض أجزاء الخطبة تلك التي تتعلق بحوارها مع يزيد –لعنه الله– عندما طلب أحد الشّاميّين فاطمة بنت الحسين –عليهما السّلام– جارية له ومن هذه الكتب كتاب البداية والنّهاية لابن كثير[٢٢]، وتاريخ الأمم والملوك للطّبريّ [٢٣] ، والكامل في التّاريخ للطّبريّ أيضًا [٢٤] ، وقد نقلوها عن أبي مخنف وهو أقدم من روى الخطبة .

المبحث الأول : الإحالة بالضّمائر في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام:

تُعدّ الضّمائر من أكثر أدوات الاتّساق استعمالاً في اللّغة العربيّة وغيرها من اللّغات فـ((مسألة الضّمائر تتّصل بمختلف اللّغات ، وهي أيضًا تتّصل باللّغة والكلام عامّة))[٢٥] ، وقد اهتم علماء النّحو القدامى بإحالة الضّمير اهتمامًا بالغًا ، وهو ما اطلقوا عليه مرجعيّة الضّمير ، فأكّدوا أهمية وجود رابط وهو الضّمير الذي يحيل على كلام سابق أو لاحق في الجملة أو العبارة[٢٦] ، والضّمير من أشهر المعارف عند بعض علماء النّحو القدامى ولكنّه لا يُفهم إلّا عند معرفة ما يرتبط به ((فالضّمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو إلى غيرها بعد سبق ذكره))[٢٧] .

أمّا من وجهة نظر علم النّصّ فللضّمائر النّصيب الأوفر في تشييد النّصّ ، فبها يتضّح اتّساقه وبها يمكن تلقيه ، ومن دونها يصبح النّص مفكّكًا ، فهي تقوم بعملية الرّبط بين مكونات النّصّ

بنحو عام[٢٨] ، ويتعدّد أثر الضّمير في عملية الإشارة المرجعيّة فقد يشير إلى كلمة مفردة (اسم) وقد يشير إلى جملة ، ويشير أحيانًا أخرى إلى تركيب أو خطاب متكامل ، هذا زيادة على تمكّنه من الإشارة إلى سياق مقامي خارج النّصّ[٢٩] .

وتقسم الضّمائر في اللّغة العربيّة بحسب الحضور في المقام أو الغياب على قسمين رئيسين متقابلين هما : ضمائر الحضور وضمائر الغائب ، ثم تقسم ضمائر الحضور على متكلم هو مركز المقام الإشاريّ ، وعلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه ، وكلّ مجموعة منهما تنقسم بطبيعتها بحسب الجنس والعدد على أقسامها المعروفة ، أمّا ضمائر الغائب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد ، وضمائر الحضور أكثر تفصيلًا من ضمائر الغائب وهذا يرتبط بأولويّة الشّخوص المشاركة في عملية التّلفظ [٣٠] .

أولا : الإحالة بضمائر الحضور : (ضمائر المخاطب وضمائر المتكلم)

في خطبتي السّيدة زينب –عليها السّلام– تُعدّ الضّمائر من أكثر وسائل الإحالة ورودًا في النّصّ ، ففي خطبتها –عليها السّلام– في الكوفة كان مجموع الضّمائر الواردة في الخطبة (ثمانية وأربعين) ضميرًا ، وقد كانت حصيلة ضمائر الحضور الدّالة على المخاطب (ستة وثلاثين) ضميرًا وهي أكثر أنواع الضّمائر في هذه الخطبة ، كلّها تشير إلى الجمع وتحيل على (أهل الكوفة) ، الوارد ذكرهم في بداية النّصّ فعلى سبيل المثال قولها عليها السّلام: ((**أمّا بعدُ ، يا أهلَ الكوفةِ ، يا أهلَ الختلِ والغدرِ !! أتبكونَ ؟ فلا رقأت الدّمعةُ ، ولا هدأت الرّنـةُ ، إنّما مثلكُم كمثلِ التي نقضت غزلَها ... تتّخذونَ أيمانَكم دخلاً بينَكم ، ألا وهل فيكم إلّا الصّلفُ النّطفُ ؟ ... ألا ساءَ ما قدمت لكم أنفسُكَم أن سخطَ اللهُ عليكم وفي العذاب أنتم خالدونَ ، أتبكونَ ؟ وتنتحبونَ؟ إي واللهِ ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبداً ، وأنى ترحضونَ قتلَ سليل خاتم النّبوّة ؟ ... وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، ومنار حجّتكم ، ومدرة سنّتكم ؟؟ ألا ساء ما تزرون ، وبعداً لكم وسحقاً ... وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة ، وَيلكم يا أهل الكوفة ! أتدرون أيّ كبدٍ لرسول الله فَرَيتُم ؟!وأيّ كريمةٍ له أبرزتم ؟! وأيّ دم له سفكتم ؟! وأيّ حرمةٍ له هتكتم ؟! لقد جئتم بها صَلعاء عَنقاء سَوداء فَقماء... أفعجبتم أن مطرت السّماء دماً ... فلا يَستَخفّنكم المُهَل... وإنّ ربّكم لبالمرصاد**))[٣١]

ففي النّص الآنف الذّكر نجد ضمائر الحضور الدّالة على المخاطب متعددة وهي متصلة إمّا بالأفعال ، نحو : (تتخذون، سفكتم، جئتم ، فابكوا، فاضحكوا ، ذهبتم، ، عجبتم ، يستخفنّكم) وإمّا بالأسماء ، نحو : (مثلكم، أيمانكم، بينكم، خيرتكم ، حجتكم ، سنتكم ، ويلكم، ربكم) وإمّا

بحروف الجر ، نحو : (، فيكم ، لكم ، عليكم) وهي من نوع الإحالة القبليّة الدّاخليّة ، فهذه الضّمائر المتصلة[٣٢] جميعها تحيل على أهل الكوفة واللافت للنّظر أنّ الضّمائر المتصلة هي الغالبة في الخطبة وهذا الأمر يبين لنا قدرة السّيدة زينب عليها السّلام على تطويع مفردات اللّغة بحسب الغرض من الخطاب الذي تنوي إيصاله إلى جمهور المخاطبين فهي في خطابها هذا بحاجة إلى الإيجاز والاختصار وهي مدركة بفطرتها أنّ الضّمائر تتفاوت فيما بينها في الأهمية والاختصار ، والضّمير المتصل أشد اختصارًا من المنفصل ، حتى عد استعمال الضمير المتصل أبلغ في الاختصار وأدعى إلى الخفة والاقتصار[٣٣] .

وقد أسهمت هذه الضّمائر في توحيد موضوع النّصّ ؛ إذ جعلت المحور الرّئيس الذي يدور حوله الخطاب هو (أهل الكوفة) المعنيّون بتفاصيل الخطبة جميعًا ؛ وذلك أنّ المُحال عليه الموجود في بداية النّصّ (يا أهل الكوفة) يُشكّل محورًا رئيسًا ممّا جعل الفقرات والجمل اللاحقة تدور في فلكه ، وفي ضوء ذلك أصبح ((ضمير المخاطب يؤدّي وظيفة كبيرة في ربط النّصّ ؛ فوظيفته تتّسع لتشمل وصل التّركيب ، كما تؤديها المعاني الرابطة ، لكنّه يختلف عن أدوات الرّبط الأخرى بوصفه يقوم على إعادة الذّكر))[٣٤] ، فضمير المخاطب يشارك في ترابط النّصّ واتّساقه ؛ لأنّه يعوّض عن تكرار الجمل والنّصوص ، ولذا أصبح معنى ضمير المخاطب وظيفي على ((إطلاقه فلا يدلّ على دلالة معجمية إلّا بضميمة المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدلّ الضّمير المخاطب على معين))[٣٥] .

أمّا بالنسبة إلى **ضمائر المتكلم** فلم نجد لها حضورًا في خطبة الكوفة ، ولعل ذلك يعود لعدة احتمالات منها :

١–تغليب القضية على الذّات ؛ إذ لم تكن السّيدة زينب عليها السّلام بصدد الحديث عن نفسها أو إبراز شخصيتها، وإنما كانت تدافع عن قضية الإمام الحسين عليه السّلام وتفضح جريمة السّلطة الأمويّة، فغاب حضور المتكلم وحضر صوت الرّسالة والموقف .

٢–تحقيق الموضوعيّة وقوة الحجّة ؛ فالابتعاد عن ضمير المتكلم يجعل الخطاب أقرب إلى عرض الحقائق والاحتجاج على المخاطبين ، فيتوجه التّركيز إلى مضمون الرّسالة لا إلى قائلها.

٣–إشعار السّامعين بعظمة الحدث ؛ فالخطبة لم تكن شكوى شخصيّة، بل محاكمة أخلاقيّة لأهل الكوفة ؛ لذا كثرت فيها ضمائر المخاطب : يا أهل الكوفة ، أتبكون ؟ ، ممّا جعل السّامعين في موضع المساءلة المباشرة .

ثانيا : ضمائر الغياب :

وإزاء هذا الحضور الكبير لضمائر المخاطب في الخطبة نلمح حضورًا طفيفًا لضمائر الغيبة في الخطبة لا يتجاوز عددها (الأحد عشر) ضميرًا ومن ذلك قولها –عليها السلام– :((**فلقد ذهبتُم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبدًا ، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ؟ ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة**))[٣٦] ، وقولها–عليها السلام– أيضًا: ((**ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء خَرقاء شَوهاء، كطِلاع الأرض وملء السّماء أفعجبتم أن مطرت السّماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وأنتم لا تُنصَرون**))[٣٧].

لو دققنا النّظر في النّصين الشّريفين لوجدنا أنّ ضمير الغائب الهاء في (عارها ، شنارها ، ترحضوها، بعدها ، بها) يحيل إحالة خارجية ، تفهم من الأجواء التي قيل فيها النّصّ ويمكن أن تكون مرجعية هذه الضّمائر على الفعلة الشّنيعة أو الجريمة النّكراء التي ارتكبها أهل الكوفة بحقّ أهل البيت –عليهم السّلام– متمثلة بالخيانة والغدر ، فبعد أن أرسلوا الرّسائل والمكاتيب إلى الإمام الحسين عليه السّلام : أن أقدم فإنّما تقدم على جند لك مجندة فأرسل لهم مسلم ابن عقيل سفيره ، فغدروا به ، ثم غدروا بالحسين عليه السّلام وأهل بيته ، فزينب عليها السّلام استحضرت كلّ هذه الأحداث ، لكنّها لم تصرح لهم عبر الأسلوب المباشر؛ لكونّهم عالمين بكلّ ما اقترفوه من غدر وظلم لأهل البيت ، وهذا يبيّن لنا ما أكّد المحدثون في التّحليل النّصيّ على أثر ((السّياق في معرفة مرجعيّة الضّمير خاصّة إذا كان الضّمير مرجعيته غامضة ، وكذلك إذا كانت مرجعيته خارجيّة ؛ لأنّ المرجعيّة الخارجيّة تعتمد على سياق الحال))[٣٨] ، فالمتكلم يرتكن إلى علم المخاطَب وإلى محايثات القول الزّمانيّة والمكانيّة التي تشارك في إيضاح قصد المتكلم من وراء خطابه ، ولذلك فالسّيدة زينب عليها السّلام في خطابها هذا اعتمدت على ضمير الغياب وجعلت مرجعيته غير معلنة ؛ لتمنح النّصّ فرصًا واسعةً للقراءة والتأويل وتشدّ من اهتمام المتلقين ، وهذا يقترب ممّا ذهب إليه علماء النّصّ من أنّ للضّمير الغائب ((مزيتان الأولى : الغياب عن الدّائرة الخطابيّة ، والثّانية القدرة على إسناد أشياء معينة ، وتجعل هاتان المزيتان من هذا الضّمير موضوعًا على قدر كبير من الأهميّة في دراسة تماسك النّصوص)) [٣٩] .

ومن الجدير بالذكر : ندرة ضمائر الغياب في خطبة السّيدة زينب (عليها السّلام) في الكوفة على العكس من ضمائر المخاطب ، ويمكن أن يعزى ؛ ذلك إلى مقتضى المقام التداولي القائم على المواجهة والاحتجاج ؛ إذ انصرفت الخطبة إلى مخاطبة أهل الكوفة مباشرة ، وتحميلهم مسؤوليّة ما اقترفوه ؛ لذلك غلبت ضمائر المخاطب نحو: أنتم ، لكم، كنتم ؛ لأنّها تحقق المواجهة المباشرة ، وتمنع المتلقي من التنصل من المسؤولية ، على حين اقتصر ضمير الغائب على المواضع

التي اقتضى فيها السّياق الإخبار عن غير الحاضرين أو الكلام عن حقائق عامّة أو عن الله تعالى أو النّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام الحسين عليه السّلام ، وقد يؤدّي الإكثار من ضمائر الغائب إلى إضعاف أثر الحجاج وتحويل الحديث إلى مجرد رواية عن الآخرين.

وإذا انتقلنا إلى خطبة السّيدة زينب –عليها السّلام– في الشّام لوجدناها أكثر حضورًا للضّمائر وأكثر تنوعًا في احالاتها ؛ إذ كان مجموعها (مائة وأربعة وثلاثين) ضميراً ، ونلحظ أنّ منها ما يحيل على داخل النّصّ وهو معظم تلك الضّمائر ومنها ما يحيل على خارجه ، وقد احتلت ضمائر **الحضور** المرتبة الأولى – وبالخصوص ضمائر المخاطَب– ؛ إذ شكّل الحوار بضمير **المخاطب** مع يزيد (لعنه الله) محوراً رئيسًا للنّصّ ، فكان عددها (ثلاثة وسبعون) ضميرًا .

وأول ما يتجلّى لنا في هذه الخطبة من ضمائر المخاطب ، قولها –عليه السلام– في هذا النّصّ المقدّس: ((**أظننتَ يا يزيدُ حيث أخذتَ علينا أقطارَ الأرضِ وآفاقَ السّماءِ فأصبَحنا نُساقُ كما تُساقُ الأُسارى، أنّ بنا على اللهِ هَواناً وبك عليهِ كرامة ؟!**))[٤٠]

لو حددّنا النّظر في النّصّ الشّريف لوجدنا أنّ ضميري الرّفع (التاء) في (ظننت) و(أخذت) يحيلان على يزيد (لعنه الله) الوارد ذكره في مطلع النّصّ وهي إحالة داخليّة بعديّة في (ظننت) ؛ إذ ورد الضّمير (التّاء) قبل يزيد (لعنه الله) وإحالة داخليّة قبليّة في (أخذت) ؛ إذ ورد الضّمير التاء بعد يزيد (لعنه الله) .

وقد يأتي ضمير المخاطب متصلًا في محل جر ، نحو ، قولها –عليها السّلام– : ((**فشمختَ بأنفِك ونظرت في عطفِك جذلانَ مسرورًا حين رأيتَ الدنيا لك مُستوسِقة ، والأمورَ مُتَّسِقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا**))[٤١] .

فأحيل ضمير(الكاف) الذي جاء في محل جر والمتصل في (انفك) و(عطفك) على يزيد (لعنه الله) الوارد ذكره في قولها السّابق : (أظننت يا يزيد) وهي إحالة داخليّة قبليّة .

وقد نجد الإحالتين : الداخليّة والخارجيّة متضافرتين في نصّ واحد ، وهما دالتان على المخاطب في قولها عليها السّلام : ((**حَسْبُك بالله حاكماً، وبمحمّدٍ خَصيماً، وبجبرئيل ظَهيراً، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيّكم شرّ مكانًا**))[٤٢] .

إذ أحيل (الكاف) في (لك) و(مكنك) على يزيد (لعنه الله) وهي إحالة داخلية قبليّة ، أمّا (الكاف) في(أيكم) فقد دلّ على المخاطب الجمع وإحالته إحالة خارجيّة يمكن ارجاعها إلى يزيد لعنه الله ، ومن سوّل له ومكّنه من رقاب المسلمين وهو الشّيطان أو الحاشية أو الرّعية المتواطئة معه ، وهذا الاحتمال الإحاليّ لا يقدح باتّساق النّصّ وحبكته ، بل يدلّ على براعة صاحبة الخطاب لتشرك حاشية يزيد ورعيته لعنهم الله في هذا الجرم فـ((تعدد المحال إليه لا يدلّ على انعزال كلّ

منهم عن الآخر في هذا الموقف بل المثيرات تدلّ على نوع من التفاعل متحقق بين أطراف الخطاب وقد أدى هذا التفاعل إلى تحقيق الانسجام للنّص))[٤٣] .

ومن هنا يمكن القول : إنّ تنقل السّيدة زينب عليها السّلام بين ضميري المخاطب المفرد والمخاطب الجمع لم يكن انتقالًا اعتباطيًا، بل جاء على وفق مقتضيات المقام ؛ فضمير الإفراد يُسند المسؤوليّة مباشرة إلى يزيد لعنه الله بوصفه صاحب القرار، بينما يوسّع ضمير الجمع دائرة الإدانة لتشمل منظومته السّياسيّة وأعوانه ورعيته ، وبذلك يتحول الخطاب من محاكمة الفرد إلى محاكمة الجماعة ، وهو ما يعزّز القوة الحجاجيّة للخطبة ، ويكسبها بعدًا تداوليًا مؤثرًا في توجيه المسؤوليّة وتوسيع نطاق الإقناع .

وإلى جانب هذا المحور الرّئيس من الخطبة وهو توجيه الخطاب إلى يزيد (لعنه الله) وتوبيخه ، نجد محاور ثانويّة في الخطبة منها : بيان فضل أهل البيت –عليهم السّلام– وما جرى عليهم من المصائب ويتجلى هذا المحور عبر **ضمير المتكلم** الذي شكّل حضورًا لا بأس به في النّصّ ؛ إذ ورد ضمير المتكلم الجمع (نا) في (اثنين وعشرين) موضعًا من الخطبة فعلى سبيل المثال ، قولها عليها السّلام: ((**فكِدْ كيدَك ، واسْعَ سعيَك ، وناصِبْ جهدك ، فو الله لا تمحوا ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا**))[٤٤] .

في النّصّ الشّريف ورد ضمير (نا) في محل جر منسبكًا في (ذكرنا) و(وحينا) و(أمدنا) ليحيل على أهل البيت –عليهم السّلام– وهي إحالة خارجيّة ؛ إذ يفترض وجود ذات متكلمة موجودة خارج النّصّ (إحالة مقاميّة) أحيل عليها بضمير المتكلم ، وهذه الذّات هي ذات السّيدة زينب (عليها السّلام) فالإحالة المقاميّة تسهم في خلق النّصّ ؛ لتعين الإحالة النّصيّة في ربط اللغة بسياق المقام لتؤدّي مع الإحالة النّصيّة أثرًا في اتساق النّصّ للوصول إلى الغرض المقصود من تلك الإحالات[٤٥]، فالسّيدة زينب عليها السّلام وإن كانت هي المتكلمة لكنّها مثلت أهل البيت عليها السّلام عمومًا فالضّمير يحيل عليها وعلى غيرها عليهم السّلام .

وقد يرد ضمير المتكلم متصلًا ومستترًا في النّصّ نفسه ، يبرز ذلك من قولها عليها السّلام : ((**أظنَنْتَ يا يزيد ، حيث أخَذتَ علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء، فأصبَحنا نُساق كما تُساق الأُسارى ، أنّ بنا على الله هَواناً ، وبك عليه كرامة ؟! ، وأنّ ذلك لِعِظَم خَطَرِك عنده!**))[٤٦] .

في النّصّ الشّريف أحال الضّمير (نا) في (أصبحنا) ، وأيضًا الضّمير المستتر في (نساق) على سبايا أهل البيت –عليهم السّلام – وهي إحالة خارجيّة أيضًا ، ونلحظ في هذه الخطبة (خطبة الشام) كثرة ورود ضمير المتكلم بصيغة الجمع (نا) ما يدلّ على أنّ المتكلم لا يعبّر عن قضية شخصيّة محددة ، وإنّما يعبّر عن مسألة كبرى وعظمى ؛ إذ كانت السّيدة زينب –عليها السّلام–

تمثّل أهل البيت –عليهم السّلام– بمجموعهم وتعبّر عن قضيتهم وعن الهوية الجماعيّة لأهل البيت عليهم السّلام فهي تمثّل الجهة الإعلاميّة لهم ؛ لذا جاء ضمير الجمع معبرًا عن صوت الجماعة ومكانتها، ومن دلالات ضمير الجمع إبراز وحدة الموقف والمصير؛ إذ يوحي ضمير الجمع إلى أنّ ما وقع في كربلاء لم يكن موجّهًا إلى شخص واحد، وإنّما إلى الأسرة النّبويّة بأسرها، ممّا يعزّز الأثر العاطفيّ والحجاجيّ في نفوس المخاطبين ، ومنها تعظيم المتكلم وتقوية الحجّة ؛ فالانتقال من الضمير (أنا) إلى الضمير (نحن) يمنح الخطاب قوة وهيبة ؛ لأنّ المتكلم يتحدّث بإسم جماعة ذات شرعيّة دينيّة وأخلاقيّة ، فيكون الاحتجاج أبلغ ، وأكثر تأثيرًا.

لذلك لا نجد حضورًا لضمير المتكلم المفرد إلّا في (خمسة) مواضع ، في قولها عليه السّلام : **((ولئن جَرَّت علَيّ الدواهي مُخاطبتَك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكنّ العيون عَبْرى ، والصدور حَرّى ألا فالعَجَب كلّ العجب لقتلِ حزبِ الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء!))**[٤٧]

إذ أحيل ضمير المتكلم (الياء) في (عليّ) و(إنّي) ، وأيضًا الضّمير المستتر (أنا) في (أستصغر) و(أستعظم) و(أستكبر) على المتكلم ذاته وهي إحالة خارجيّة ، ومن الجدير بالذّكر أنّ قلة استعمال ضمير المفرد يبعد الخطبة عن الانطباع الشّخصي، ويجعلها خطابًا موضوعيًا عامًا، يهدف إلى الدّفاع عن الحقّ وكشف الظّلم، لا إلى التّعبير عن الحقّ الشّخصي ، أمّا علة اقتصار ضمير المفرد على هذه المواطن فقط ؛ فيعود إلى سياق الحال الذي يستدعي الحضور الذّاتي فجاءت مواضع الضّمير المفرد في سياقات لا يمكن أن ينوب فيها ضمير الجمع عن المفرد، كإظهار موقف شخصي، أو للتّعبير عن شيء ذاتي، أو تحمّل مسؤوليّة قول معيّن، فاقتضى المقام إبراز ذات المتكلمة زينب عليها السّلام مراعاة لمقتضى المقام ، وهذا ما رواه أرباب المقاتل وكتب التاريخ أنّ يزيد لعنه الله سأل عن زينب عليها السّلام ؛ فردت عليه بذلك الخطاب معرّفة بنفسها مفتخرة بدينها ونسبها ، مستصغرة قدر يزيد لعنه الله الذي لا يمتلك دينًا ولا نسبًا رفيعًا .

وبعد وقوفنا على ضمائر المخاطب والمتكلم في خطبة السّيدة زينب عليها السّلام في مجلس يزيد (لعنه الله) سننتقل إلى **ضمائر الغائب** وبعد احصائها وجدنا مجموعها (أربعة وثلاثين) ضميراً وقد تعددت دلالاتها ، فقد تدلّ على المفرد المذكر(هو) أو على المفرد المؤنث (هي) أو على الجمع بنوعيه المذكر والمؤنث ، وهذا سنلمسه جليّا ؛ إذ تتغير إحالته من فعل إلى آخر بحسب السّياق العام الذي يردّ فيه ، فهذا التّنوع يزيد من إسهام المتتاليات النّصيّة في تماسك النّصّ ؛ فزينب

عليها السّلام عمدت إلى تكثيف الضّمائر الغائبة لتعزّز من وحدة التّماسك ولتوسع من دلالة النّصّ ، وسيتّضح ذلك عبر عرضنا لبعض ما ورد منها في الخطبة.

ومن أمثلة ورود ضمير الغائب في خطبة الشام ، قولها عليه السّلام : ((**فوَ اللهِ ما فَرَيتَ إلاّ جِلْدَك، ولا جَزَزْتَ إلاّ لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته حيث يجمع الله شملهم، ويَلُمّ شعَثَهم،** في النّصّ أعلاه يتجلّى لنا أن الضّمير (الهاء) في(ذريته) و(حرمته) و(عترته) و(لحمته) عائد إلى رسول الله –صلى الله عليه وآله – وهي إحالة داخليّة قبليّة ، بدلالة قولها السّابق : (ولتردن على رسول الله) ، وهذا الضّمير جاء دالاً على الغائب ؛ وعلة ذلك أن الإحالة على النّبيّ صلى الله عليه وآله ، بضمير الغائب، مع التّصريح بصفته ، تُكسب الخطاب طابعًا من التّوقير والإجلال، وتُبرز مكانته المرجعيّة العليا في الاحتجاج ؛ إذ ترد ضمائر الغائب في الخطاب غالبًا عند الحديث عن الشّخصيات المرجعيّة أو الوقائع التاريخيّة ، بينما تغلب ضمائر المخطاب عند مواجهة يزيد والحاضرين وتقريعهم ، ما ينسجم مع تحقيق الاتّساق النّصيّ في الخطبة عبر النّسق الإحالي للضّمير.

ومن الإحالة بضمير الغائب في هذه الخطبة هي الإحالة بضمير الجمع المؤنث عبر قولها عليها السّلام : ((**أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرُك حَرائرَكَ وإماءَك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المنازل والمناهل ... ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي**))[٤٨] .

أحالت السّيدة عليها السّلام الضّمير (هن) الدّال على الجمع في (ستورهن) و(وجوههن) و (بهن) و(يستشرفهن) و(معهن) و(حماتهن) و(رجالهن) على بنات رسول الله وهي إحالة داخليّة قبليّة .

وقد ورد ضمير الجمع المذكر الغائب في قولها –عليه السّلام– : ((**وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردنّ وشيكًا موردهم ولَتَوَدّنّ أنّك شُلِلتَ وبُكِمتَ ولم يكن قلتَ ما قلتَ وفَعَلتَ ما فعلت. اَللّهمّ خُذْ بحقّنا، وانتَقِمْ ممّن ظَلَمَنا، وأحلِلْ غضبَك بمن سفك دماءنا وقتَلَ حُماتَنا**))[٤٩] .

يظهر من النّصّ أنّ الضّمير(هم) في (تناديهم) و(موردهم) يحيل إحالة داخلية قبلية مرجعيتها إلى(أشياخك) فالسّيدة زينب عليها السّلام أحالت على أشياخه بضمير الغائب تغييبًا لهم وتحقيرًا حتى لا يكتمل سروره المزعوم والدّليل مكتشف من النّصّ عندما عبّرت بـ(زعمت) و((الزعم هو القول بأنّ الشّيء على صفة قول غير مستند إلى وثوق... وقال الليث : سمعت أَهل العربية يقولون إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنّما يقال ذلك لأَمر يُسْتَيْقَنُ أَنّه حقّ ، وإذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ

لعله كذب أَو باطل قيل زَعَمَ فلان))[٥٠] ، وثمة دليل آخر على احتقارها لهم قولها : ((فلتردنّ وشيكًا موردهم)) ولا شكّ أنّ موردهم جهنم وبئس المصير ، ونلحظ ممّا سبق أنّ الضّمير ساعد ((مستعملي النّصّ على الاحتفاظ بالمحتوى دون حاجة منه لإعادة ذكر كلّ شيء بتفصيلاته))[٥١] ؛ إذ أنّ ((الضّمائر تقوم مقام الأسماء أو عبارات الأسماء التي تشاركها المدلول))[٥٢]. وبعد كلّ ما تقدّم رأينا تنوع وتعدّد الإحالات أو العناصر التي تستوجب متلقيًا واعيًا كي يفسر ويكشف عن المعاني ؛ ذلك أنّ الضّمير بأنواعه يؤدّي وظيفة الاختصار والإيجاز في الكلام ومن هنا عدّ ((أقوى أنواع المعارف ولا يدلّ على مسمّى كالاسم ولا على الموصوف بالحدث كالصّفة ولا حدث وزمن كالفعل فالضّمير كلمة واحدة تدل على عموم الحاضر والغائب دون دلالة على الخصوص))[٥٣] .

المبحث الثاني : الإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السيدة زينب عليها السلام:

تُعدّ أسماء الإشارة من أدوات الإحالة التي تعمل على اتّساق النّصّ وترابطه ؛ وذلك لأنّه يحدد أثر المشاركين في الزّمان والمكان داخل المقام الإشاريّ وهي من العناصر المبهمة التي بحاجة إلى ما يفسرها سابقًا أو لاحقًا[٥٤] ، وينطبق على ضمائر الإشارة ما قيل في الضّمائر من القدرة على الإحالة على عنصر واحد أو شخص أو شيء ما ، أو أن تكون على أشياء متعددة أو على خطاب[٥٥] .

وتقسّم أسماء الإشارة على إشاريات تدلّ على القرب وأخرى تدلّ على البعد بحسب مقام المتكلم أو زمانه ((وسواء كانت الإحالة إلى بعيد أو إلى قريب ، فإنّ عامل الإحالة يسهم بدور فعال في ترابط النّصّ وتماسكه ، إلى جوار العامل التركيبيّ والعامل الزمنيّ ؛ إذ أنّ الملفوظ (نصّاً) يكتمل عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الرّوابط الإحاليّة))[٥٦] .

والإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السّيدة زينب –عليها السّلام– قليلة إذا ما قورنت بالضّمائر ؛ إذ لم ترد أسماء الإشارة إلّا في (أربعة) مواضع فقط ، وسنورد هذه المواضع للوقوف على كيفيّة عمل اسم الإشارة وإسهامه في عمليّة الاتّساق.

وأول ظهور لاسم الإشارة كان في قولها –عليها السّلام– في مجلس يزيد (لعنه الله) : ((**أظننت يا يزيد حيث أخَذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبَحنا نُساق كما تُساق الأُسارى ، أنّ بنا على الله هوانًا وبك عليه كرامة ، وأنّ ذلك لعظيم خطرك عنده**))[٥٧].

ورد في النّصّ الشّريف اسم الإشارة (ذلك) وهو يحتمل مرجعيتين ، إذ أنّ من مميزات اسم الإشارة : الإحالة الموسّعة أو المطلقة ، فالمرجعيّة الأولى: هي الفقرة السّابقة من النّصّ : ((حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السّماء ...)) فتكون الإحالة داخليّة قبليّة ، أمّا المرجعيّة الثانية: فهي

الجرائم التي قام بها يزيد(لعنه الله) بحقّ أهل البيت –عليهم السّلام– والنصر الماديّ الذي كان مغترًا به فتكون إحالة خارجيّة ، أي أنّ إحالة اسم الإشارة (ذلك) في هذه الفقرة من الخطبة كانت موسّعة ، وهنا يمكن النظر إلى القوة الاتّساقيّة التي يتمتّع بها اسم الإشارة (ذلك) ؛ إذ ورد اسم الإشارة هنا ((اختزالاً للكلام واقتصادًا للجهد واجتنابًا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشاريّة معجميّة ومجموعة أحداث تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الذي يحيل عليه العنصر الإحالي الجامع لكلّ ما تقدّم عليه))[٥٨] ، فبدل أن تسرد السّيدة زينب عليها السّلام كلّ الأحداث والجرائم التي اركتبها يزيد –لعنه الله– بحقّ أهل البيت عليهم السّلام اقتصرت على هذا الضّمير اسم الإشارة (ذلك) .

أمّا الموضع الثاني الذي ورد فيه اسم الإشارة ، هو قولها عليها السّلام : ((**ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم : لأهــلّوا واستهلّــوا فــرحًا ثم قالــوا يا يزيــدُ لا تُشَــلْ**

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ... وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة))[٥٩]

إذ أحال اسم الإشارة (ذلك) على البيت الذي أنشده يزيد (لعنه الله) وهي إحالة داخليّة قبليّة ؛ فجاء اسم الإشارة رابطًا أجزاء متعددة لخطاب سابق ، وتكون الإحالة أكثر فاعليّة في إحداث الاتّساق النّصيّ كلّما بَعُدَ موقع المحال في النّصّ عن موقع المحال عليه ؛ ((لأنّ التّماسك والحالة هذه يشغل مساحة واسعة من النّصّ ويسمّى هذا النّوع من الإحالة : الإحالة ذات المدى البعيد وهي تجري بين الجمل المتّصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النّصّ))[٦٠] .

ووردت الإحالة باسمي الإشارة (هذه ، وتلك) في قولها –عليها السّلام– : ((**ألا فالعَجَب كلّ العجب لقتلِ حزبِ الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الايدي تنضح من دماءنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتهفوها أُمّهاتُ الفَراعل**))[٦١] .

فاسم الإشارة (هذه) يحيل إحالة خارجيّة تفهم من السّياق وهي عائدة إلى أيدي يزيد لعنه الله ، وأعوانه ممّن شاركوا في قتل الإمام الحسين –عليه السّلام– ، أمّا اسم الإشارة (تلك) فهو إحالة خارجيّة أيضًا ، وهي تعود إلى جثة الإمام الحسين –عليه السّلام– وأهل بيته وأصحابه ، ومرجعيتها ثابتة في الأذهان ، ومعلومة لدى المتلقي تفهم من سياق الحال .

واللافت للنّظر قلة ورود الإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام ، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أنّ البنية الخطابيّة للنصين قامت أساسًا على التّواصل المباشر مع المخاطبين ، ما جعل الضّمائر تؤدّي الوظيفة الإحاليّة الرّئيسة في تحقيق الاتّساق النّصيّ ، أمّا أسماء الإشارة فتقتصر على مواضع مخصوصة تقتضيها الحاجة البلاغيّة والحجاجيّة ؛ إذ تستعمل

للفت الانتباه على شيء معين، أو لتأكيد معنًى يُراد ترسيخه في ذهن المتلقي ، ممّا يدلّ على أنّ توظيفها كان توظيفًا مقصودًا تحكمه مقتضيات المقام ، لا مجرد التغيير اللغويّ فزينب عليها السّلام لم تكن بحاجة إلى الإشارة فالخطاب مع أشخاص حاضرين والأمور متجلية لديهم .

المبحث الثالث : الإحالة بالاسم الموصول في خطبتي السيدة زينب عليها السلام :

يُعدّ الاسم الموصول وسيلة لتحقيق الاتّساق النّصيّ ؛ لأنّه يقتضي وجود جملة بعده ، وعادة ما تكون هذه الجملة فعليّة ، وقد يعطف على هذه الجملة بعدّة جمل فيطول الكلام ويكون نصّاً كاملاً ، ويظل مرتبطًا كلّه بالاسم الموصول الأول ، ومن جانب آخر يُعدّ الموصول عنصرًا من عناصر الإحالة فيرتبط بمذكور سابق ، وقد يتكرر بصورة واحدة ، ويظل مرتبطاً بهذا المذكور السّابق محدثاً نسقًا واحدًا للنّصّ كلّه[٦٢] ، وأكّدّ علماء النّحو القدامى أنّ الموصول يحتاج إلى صلته وإلّا يبقى ((وحده اسم ناقص أي ناقص الدّلالة ، فإذا جئت بالصّلة قيل موصول حينئذ))[٦٣] ، وبهذا المعنى يُعدّ من المبهمات التي يزول الإبهام عنها بالتّركيب الذي يلحقها ، وممّن نبّه إلى أهمية الرّبط في الاسم الموصول الدّكتور تمّام حسّان قائلاً : ((لم يشر من قبل إلى هذا النّوع من الرّبط في الجملة ، أو السّياق القائم على أكثر من جملة... والدّليل على أنّ الموصول رابط ، أنّه كما قال البلاغيون حلّ محلّ الضّمير ، فلو عدلت عن الموصول واستعملت الضّمير المطابق له لحدث الرّبط المطلوب))[٦٤] .

وللاسم الموصول حضور لا بأس به في خطبتي السّيدة زينب –عليها السّلام– فقد ورد في (عشرة) مواضع نذكر منها قولها –عليها السّلام– في خطبتها في جموع أهل الكوفة : ((**يا أهلَ الكوفةِ ، يا أهلَ الختلِ والغدرِ !! أتبكونَ ؟ فلا رقأت الدمعةُ ، ولا هدأت الرنةُ ، إنّما مثلُكم كمثلِ التي نقضت غزلَها من بعدِ قوةٍ أنكاثًا ، تتّخذونَ أيمانكَم دخلاً بينَكم ، ألا وهل فيكُم إلا الصلفُ النّطفُ ؟ والصّدرُ الشّنفُ ؟ وملقُ الإماءِ ؟ وغمزُ الأعداء؟**))[٦٥]

لو دققّنا النّظر في النصّ السّابق لوجدنا أنّ الاسم الموصول (التي) قد أحال إحالة خارجيّة حاضرة في ذهن المتلقي ؛ إذ تشير إلى المرأة التي ضرب بها القرآن الكريم مثلًا في قوله تعالى : ((**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم**))[٦٦] ، فزينب عليها السّلام ضمّنت المثل القرآنيّ خطابها ، ليكون حجة دامغة لهم ، وقد جاء في غاية الدّقّة ؛ إذ شبّهت حالهم بالمرأة التي تتعب في غزل الخيط ثم تنقضه بيديها، فيضيع جهدها سدًى ، فكما أفسدت تلك المرأة عملها، أفسد أهل الكوفة عهدهم وبيعتهم للإمام الحسين (عليه السّلام)، فجمعوا بين الوعد والخذلان ، فوظفت عليها السّلام المثل العربيّ الذي يحكي واقعهم باقتباس قرآنيّ ؛ فاستدعاء المثل القرآنيّ يغني عن الإطالة ؛ لأنّ المتلقي يستحضر سياقه بمجرد سماعه واعتمدت

عليها السّلام على سلطة القرآن الكريم فهي المرجعيّة التي لا يستطيع المخاطبون ردّها فأصبح المثل دليلًا على صدق حكمها عليهم ، فهي ((حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها))[٦٧] وهو القرآن الكريم الذي يمثل أعلى درجات الاستشهاد في المنظومة الإسلاميّة .

ووردت الإحالة بالاسم الموصول (من) في قولها –عليه السّلام– من خطبتها في مجلس يزيد (لعنه الله) : ((**وكيف يستظل في ظلمنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان**))[٦٨] .

فقد جاءت الإحالة بالاسم الموصول (من) وهي إحالة خارجيّة عائدة إلى يزيد وأعوانه لعنهم الله ، ممّن يبغضون أهل البيت –عليهم السّلام– وهذه الإحالة اتّضحت عبر بيان صفات المحال إليهم وهي (الشّنف) : وتعني شدة البغض والكراهية و(الشّنآن) وتعني البغض الشديد والعداوة الظاهرة و(الإحن) وتعني الحقد الكامن والعداوة الدفينة و(الأضغان) وتعني : الأحقاد والعداوات المستمرة في الصدور وكل هذه الصفات تنطبق على يزيد وأعوانه .

نلحظ هنا أنّ جميع إحالات الاسم الموصول جاءت خارجيّة ما عدا موضع واحد في قولها – عليها السّلام– : ((**ولتودنّ أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت ... اَللّهمّ خُذْ بحقّنا، وانتَقِمْ ممّن ظَلَمَنا، وأحلِلْ غضبَك بمن سفك دماءنا وقتَلَ حُماتَنا**))[٦٩] .

فقد أحال الاسم الموصول(ما) إحالة داخليّة قبليّة موسّعة تعود إلى نصّ سابق ورد في الخطبة وهو البيت الذي استشهد به يزيد (لعنه الله) وقد ضمّنته السّيدة زينب عليها السّلام خطبتها : ((ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحًا ثم قالوا يا يزيدُ لا تُشَلْ))[٧٠] هذا دليل على أنّ الاسم الموصول ((ضمير قوي وعنصر فاعل ؛ إذ يمكن استخدامه مكثفًا أو مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السّابقة له رغبة في الاختصار أو اجتنابًا للتكرار))[٧١] ، وهذا ما حققّه خطاب السّيدة زينب عليها السّلام في هذا المورد .

وعليه فقد أسهمت الإحالة بالاسم الموصول في ربط أجزاء الخطبة بعضها ببعضها الآخر، إذ يشترك الاسم الموصول مع الأسماء في وظيفة الرّبط ، والإحالة ، والتّعويض ، والاختصار، وهو ما أكدّه إبراهيم الفقي أنّ وظيفة الإشارة والموصولات تؤدّي وظيفة الضّمائر نفسها من ناحية المرجعيّة والرّبط ، فالاسم الموصول يربط بين جملتين أي بين ما تقدّم ذكره وما يراه المتكلم وما يضمّنه إلى ما سبق العلم به، فهو يربط السّابق باللاحق ويحيل إليه ويعوضه[٧٢] .

المبحث الرابع : الإحالة بأدوات المقارنة في خطبتي السيدة زينب عليها السلام:

وهي وسيلة من وسائل الإحالة تتمّ باستعمال أشياء عامّة نحو : التّطابق ، التّشابه والاختلاف ، أو أشياء خاصّة نحو : الكميّة والكيفيّة ويتّضح ذلك في نحو (مشابه إلى) ، (علاوة على) ، فهي من منظور الاتّساق تتشابه مع الضّمائر وأسماء الإشارة في كونها نصّية[٧٣] ، وتتماز ألفاظ المقارنة بأنّها تعبيرات إحاليّة غير مستقلة بنفسها ، وهذا ((ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التّماسك ، ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثًا عمّا يحيل عليه المتكلم ، وكما كان مع الضّمائر وأسماء الإشارة يحتمل أن يكون المرجع خارجيًا ، ويحتمل أن يكون داخليًا ، فإذا كان داخليًا ، فإمّا أن يكون المرجع متقدمًا أو متأخراً)) [٧٤] .

وقد كان لأدوات المقارنة حضور في خطبتي السّيدة زينب– عليها السّلام – من طريق (أفعل التفضيل) وهي من أبرز أدوات المقارنة ، وقد ورد في قولها –عليها السّلام– من خطبة الكوفة : ((**لقد جئتم بها صَلعاء عَنقاء سَوداء فَقماء ، خَرقاء شَوهاء ، كطِلاع الأرض وملء السماء ، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وأنتم لا تُنصَرون ، فلا يَستَخفّنكم المُهَل ، فإنّه لا يَحفزُه البِدار، ولا يَخافُ فَوتَ الثار ، وإنّ ربّكم لبالمرصاد**))[٧٥] .

فقد جاءت الإحالة بأفعل التّفضيل عبر مفردة (أخزى) التي تحيل على ما قبلها (عذاب الله) وهي إحالة داخليّة قبليّة ، فهذه الإحالة تروم مدّ جسور التّواصل من داخل النّصّ إلى خارجه ؛ فزينب عليها السّلام عبر خطابها هذا أشعرت أهل الكوفة بالخزي والعار الذي لاحقهم جراء خيانتهم الحسين عليه السّلام ، فهذا خزي الدّنيا فكيف بخزي الآخرة وعذابها؟ .

وعليه فالرّبط الإحاليّ هذا يشكّل ((همزة الوصل بين أجزاء النّصّ ويمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النّصّ ، فتجتمع في كلّ واحد من تلك الأجزاء عناصر متناغمة))[٧٦] لتتشكّل منها البنيّة الكليّة للنّصّ .

ووردت أدوات المقارنة أيضًا في خطبتها –عليها السّلام– في مجلس يزيد (لعنه الله) وذلك في قولها : ((**حَسْبُك بالله حاكماً، وبمحمّدٍ خَصيماً، وبجبرئيل ظَهيراً وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلًا ، وأيّكم شرّ مكانًا وأضعف جنداً**))[٧٧] .

وردت الإحالة بـ(أفعل التفضيل) في (شرّ) المراد به (أشر) وهي تحيل على (مكاناً) فهي إحالة داخليّة بعديّة والإحالة بـ(أضعف) فقد أحال على(جنداً) وهي إحالة داخليّة بعديّة أيضاً ، ومن ذلك كلّه يتّضح كيف مدّت البنيّة الإحاليّة جسورها داخل النّصّ مكوّنة منسوجة وربطت مكوناته ووحداته بعضها ببعضها الآخر فهي إحدى الأبنية التي تتكوّن منها البنيّة الكليّة للنصّ[٧٨] .

خاتمة البحث ونتائجه

وفي ختام البحث وبعد الوقوف على مظاهر الإحالة في خطبتي السّيدة زينب عليها السّلام ، وتحليلها على ضوء اللّسانيات النّصيّة تبيّن أنّ الإحالة لم تكن مجرد وسيلة لغوية للإشارة إلى المرجع ، بل شكّلت دعّامة مركزيّة في بناء النّصّ وقوة تماسكه وشاركت في تحقيق الاتّساق بين أجزائه وربط مكوناته الدّلاليّة والتّركيبيّة ، ما أتاح للخطاب الحفاظ على وحدته الموضوعيّة وأداء وظائفه الإبلاغيّة والحجاجيّة بكفاءة عالية ، وقد أظهرت الدّراسة أن حسن توظيف وسائل الإحالة شارك في توجيه المتلقي ، وتدعيم ترابط المعاني ، وإبراز المقاصد التي سعت السّيدة زينب عليها السّلام إلى ترسيخها في خطبتها ، هذا ما يؤكّد القيمة النّصيّة لهذه الوسيلة في الخطاب الزّينبيّ ويفتح المجال أمام مزيد من الدّراسات التي تستكشف الظّواهر النّصيّة في التّراث العربيّ والإسلاميّ ، ولعل أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج متواضعة يمكن ايجازها على النحو الآتي :

- شكّلت الإحالة بالضّمائر أعلى نسبة بالقياس إلى بقية الإحالات وهذا يؤكّد أثر الضّمير في ربط النّصّ واتّساقه ، ويرجع أيضًا إلى طبيعة الخطبتين اللتين ألقيتا في ظرفٍ خاصّ هو الخطاب المباشر مع جمهور المخاطبين فأحالت عليهم بضمير المخاطب أو الغائب دون الحاجة إلى أسماء الإشارة أو الاسم الموصول.
- لقد كانت حصيلة ضمائر الحضور الدّالة على المخاطب في خطبة الكوفة (ستة وثلاثين) ضميرًا وهي أكثر أنواع الضّمائر فيها ، كلّها تشير إلى الجمع وتحيل إلى (أهل الكوفة) بوصفهم المعنيين في الخطاب لا غيرهم .
- إنّ الضّمائر المتصلة هي الطاغية في خطبة الكوفة ، وهذا الأمر يشي بقدرة السّيدة زينب عليها السّلام على تطويع مفردات اللّغة وادراكها فطريًّا أنّ الضّمائر تتفاوت فيما بينها في الأهمية والاختصار ، والضّمير المتصل أشد اختصارًا من المنفصل .
- لم ترد ضمائر المتكلم في خطبة الكوفة ؛ ولعل ذلك يعود إلى تغليب القضية على الذات ؛ إذ لم تكن السّيدة زينب عليها السّلام بصدد الحديث عن نفسها أو إبراز شخصيتها، وإنما كانت تدافع عن قضية الإمام الحسين عليه السّلام وتفضح جرائم السّلطة الأمويّة، فغاب حضور المتكلم وحضر صوت الرّسالة والموقف .
- ندرة ضمائر الغياب في خطبة الكوفة قياسًا بضمائر المخاطب ؛ مرد ذلك إلى طبيعة المقام الذي كان يقتضي الخطاب المباشر مع أهل الكوفة ، لا الحديث عن أشياء غائبة ، فالخطبة ألقيت في مواجهة أهل الكوفة بعد واقعة كربلاء، فكان الهدف توبيخهم وتقريعهم وتحميلهم

مسؤولية ما اقترفوه ؛ لذلك غلبت ضمائر المخاطب نحو: أنتم ، لكم، كنتم ؛ لأنها تحقق المواجهة المباشرة وتمنع المتلقي من التنصل من المسؤولية .

•احتلت ضمائر المخاطب في خطبة الشام المرتبة الأولى فكان عددها (ثلاثة وسبعون) ضميرا ، إذ شكّل الحوار بضمير المخاطب مع يزيد (لعنه الله) محوراً رئيسًا للنّصّ .

•إنّ تنقل السّيدة زينب عليها السّلام – في خطبة الشام– في اسناد الجرم بين ضميري المخاطب المفرد والمخاطب الجمع لم يكن انتقالًا اعتباطيًا، بل جاء على وفق مقتضيات المقام ؛ فضمير الإفراد يُسند المسؤولية مباشرة إلى يزيد بوصفه صاحب القرار، بينما يوسّع ضمير الجمع دائرة الإدانة لتشمل منظومته السياسية وأعوانه ورعيته، وبذلك يتحول الخطاب من محاكمة الفرد إلى محاكمة الجماعة .

•نلحظ في خطبة الشّام كثرة ورود ضمير المتكلم بصيغة الجمع (نا) ممّا يدل على أنّ المتكلم لا يعبر عن قضية شخصية محددة وإنّما يعبر عن مسألة كبرى وعظمى ؛ إذ كانت السّيدة زينب – عليها السّلام– تمثّل أهل البيت –عليهم السّلام– بمجموعهم وتعبر عن قضيتهم وعن الهويّة الجماعيّة لأهل البيت عليهم السّلام فهي تمثّل الجهة الإعلاميّة لهم ؛ لذا جاء ضمير الجمع معبرًا عن صوت الجماعة ومكانتها .

•اقتصر حضور ضمير المتكلم المفرد في خطبة الشام على خمسة مواضع فقط ؛ مرد ذلك إلى سياق الحال الذي يستدعي الحضور الذاتي فجاءت مواضع الضمير المفرد في سياقات لا يمكن أن ينوب فيها ضمير الجمع عن المفرد، كإظهار موقف شخصي، أو التعبير عن يقين ذاتي، أو تحمل مسؤولية قول معين .

•تعد الإحالة بأسماء الإشارة في خطبتي السّيدة زينب –عليها السّلام– أقل أنواع الإحالات إذا قورنت بغيرها ؛ إذ لم ترد أسماء الإشارة إلّا في (أربعة) مواضع، يمكن أن يُعزى ذلك إلى أنّ البنية الخطابيّة للنصين قامت أساسًا على التّواصل المباشر مع المخاطبين، ممّا جعل الضّمائر تؤدّي الوظيفة الإحاليّة الرّئيسة في تحقيق الاتّساق النّصيّ ، أمّا أسماء الإشارة فتقتصر على مواضع مخصوصة تقتضيها الحاجة البلاغيّة والحجاجيّة ؛ إذ تستعمل للفت الانتباه على شيء معين، أو لتأكيد معنى يراد ترسيخه في ذهن المتلقي ، فزينب عليها السّلام لم تكن بحاجة إلى الإشارة فالخطاب مع أشخاص حاضرين والأمور منكشفة لديهم .

الهوامش

(١) اختلف حجمها بحسب توافر النصوص في الخطبتين فكان المبحث الأول أكبرها حجمًا .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ١٢١/٢

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٨

(٣) تاج العروس : ٣٦٦/٢٨
٤) لسان العرب : ١١/ ١٩٠
(٥) نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي : ١١٦ .
(٦) النص والخطاب والاجراء : ٣٢٠
(٧) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٩ .
(٨) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٧٢
(٩) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٩
(١٠) ينظر : خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص(رسالة) : ٢٤
(١١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): ١/ ١٢١
(١٢) ينظر : لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): ١٩. والإحالة في نحو النص : ١٢
(١٣) ينظر : إشكالات النص دراسة لسانية نصية : ٣٥١ .
(١٤) تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي : ٩٦.
(١٥) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٦٥ .
(١٦) ينظر : بلاغات النساء: ٢٧
(١٧) ينظر: زينب الكبرى من المهد الى اللحد: ٢٦
(١٨) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٢ – ١٩٣
(١٩) مقتل الحسين –عليه السلام– : ٣٢٦ – ٣٢٧ – ٣٢٨
(٢٠) بلاغات النساء: ٢٥ – ٢٦ – ٢٧.
(٢١) مقتل الحسين – عليه السلام – : ٣٧٦ – ٣٧٧ – ٣٧٨ – ٣٧٩.
(٢٢) ينظر : البداية والنهاية: 221–٢٢٢–٢٢٥ .
(٢٣) ينظر : تاريخ الأمم والملوك: ٣١١
(٢٤) ينظر : الكامل في التاريخ: ٥٧٤ – ٥٧٥
(٢٥) أصول تحليل الخطاب : ٢ / ١٠٧١ .
(٢٦) ينظر : علم لغة النص والأسلوب : ٣٤ .
(٢٧) مفتاح العلوم : ١٩٠ .
(٢٨) ينظر : النص والخطاب قراءة في علوم القرآن : ٢١٤ .
(٢٩) ينظر : مدخل إلى علم النص : ١١٩.
(٣٠) ينظر : نسيج النص (بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصًا): ١١٧ .
(٣١) الملهوف على قتلى الطفوف : ١٩٢–١٩٣
(٣٢) الضمائر المنفصلة في هذه الخطبة لم ترد إلا في موضعين
(٣٣) ينظر: من التماسك النصي في سورة يونس : ٤٢ .
(٣٤) ينظر : نظام الارتباط والربط : ١٥٢–١٥٣ .

(٣٥) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ١١١ .
(٣٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٢
(٣٧) المصدر نفسه : ١٩٣
(٣٨) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٦٧
(٣٩) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): ١٦١/١.
(٤٠) الملهوف على قتلى الطفوف :٢١٥
(٤١) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٥
(٤٢) المصدر نفسه : ٢١٧ .
(٤٣) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٧٣
(٤٤) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٨
(٤٥) ينظر : لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب):: ١٧ .
(٤٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥ .
(٤٧) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٧ .
(٤٨) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥–٢١٦
(٤٩) المصدر نفسه : ٢١٦
(٥٠) لسان العرب : ١٥/ ١٥٦
(٥١) مدخل إلى علم لغة النص : ٩٢
(٥٢) المصدر نفسه : ٩٢
(٥٣) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب : ١٢٢ .
(٥٤) ينظر : نسيج النص (بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصًا): ١١٧– ١١٨
(٥٥) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ١٧٥ .
(٥٦) نسيج النص (بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصًا): ١٢٣–١٢٤ .
(٥٧) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٥ .
(٥٨) الاحالة النصية واثرها في تحقيق تماسك النص القرآني (بحث) : ٩٤
(٥٩) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٦ .
(٦٠) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ٢ / ٢٠
(٦١) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٧ .
(٦٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية):١/ ١٦٦ .
(٦٣) شرح المفصل : ٣ / ١٥٠ وينظر : معاني النحو : ١ / ١١٠.
(٦٤) مقالات في اللغة والأدب : ١ / ٢٠٠ .
(٦٥) الملهوف على قتلى الطفوف : ١٩٢
(٦٦) سورة النحل الآية : ٩٢

(٦٧) في بلاغة الخطاب الإقناعي : ٦٥
(٦٨) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٦ .
(٦٩) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٦
(٧٠) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢١٦
(٧١) علم لغة النص والأسلوب : ٣٨
(٧٢) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): ١/ ١٩٨
(٧٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٤.
(٧٤) الاحالة النصية واثرها في تحقيق تماسك النص القرآني (بحث): ٩٥ .
(٧٥) الملهوف على قتلى الطفوف : ١٩٣
(٧٦) دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة : ٩٦
(٧٧) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٧ .
(٧٨) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة : ٩٦

روافد البحث

✓القرآن الكريم
✓الإحالة في نحو النصّ ، أحمد عفيفي ، كتب عربية ، (د. ط) ، (د. ت)
✓إشكالات النص ، دراسة لسانية نصية ، جمعان بن عبد الكريم ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٩م.
✓أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص) ، محمد الشاووش ، المؤسسة للتوزيع ، بيروت– لبنان ، ط١ ،٢٠٠١م.
✓البداية والنهاية ،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، راجع نصه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار ، دار مكتبه الهلال ،١٤٢٩ =٢٠٠٨م.
✓بلاغات النساء ، أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت٢٨٠هـ)، دار النهضة الحديثة ، بيروت– لبنان، ١٩٧٢م.
✓تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، (د . ط) ، (د. ت)
✓تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.
✓الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، خليل بن ياسر البطاشي ، دار جرير، الاردن ، ط١ ،٢٠١٣م.
✓نفسي من وحي القرآن ، دراسة في ضوء علم اللغة النصي ، مؤيد عبيد صوينت ، دار الملاك ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٩م.
✓دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
✓زينب الكبرى من المهد إلى اللحد ، السيد محمد كاظم القزويني ، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط١ ،١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣ م
✓شرح المفصل موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي ، منشورات ذوي القربى ، قم ، ط١ ، د. ت.
✓علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) د. إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
✓علم لغة النص ، النظرية والتطبيق ، عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧م .
✓علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، مصر، ط١ ،١٩٩٧م.

✓علم لغة النص والأسلوب ، د. نادية رمضان النجار، مؤسسه حورس الدولية للنشر والتوزيع، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠١٣م.
✓في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الأول نموذجًا ، محمد العمري ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٨٦م .
✓الكامل في التاريخ ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: مكتبة التراث ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط١ ،١٤٣٠– ٢٠٠٩م.
✓لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت ، (د . ط) ، ١٩٦٨م.
✓لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ،محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩١٩م.
✓اللغة العربيّة معناها ومبناها : د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة، ط ٥ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .
✓مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص) ، تاليف ، زتيلاف وأور زيناك ، ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسه المختار للنشر والتوزيع ، ط١ ،٢٠٠٣م
✓مدخل إلى علم لغة النص ، روبرت بيوغراند وآخرون ، مطبعة دار الكتب ، ط١، ١٩٩٢م.
✓معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، مطابع دار الحكمة ، بغداد ، د. ت.
✓معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
✓مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ،١٤٠٢هـ =١٩٨٢ م.
✓مقتل الحسين –ع– للمقرم العلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت– لبنان ، ط ٥ ،١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
✓الملهوف على قتلى الطفوف ، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ) تحقيق وتقديم: فارس تبريزان الحسون ، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران ، ط٥ ، ١٤٣٤هـ.
✓نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط١ ،٢٠٠١م.
✓نسيج النص (بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصًا) ، الازهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ، ط١ ،١٩٩٣م.
✓النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، د. محمد عبد الباسط عبد ، تقديم ، د. صلاح رزق ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٩م .
✓النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ط١ ، ١٩٩٨م.
✓نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة : د. مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالميّة للنشر – لونجمان ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧م .

الرسائل والبحوث :

✓الإحالة النّصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النّص القرآنيّ دراسة تطبيقيّة على بعض الشّواهد القرآنيّة، عبد الحميد بوترعة ، مجلة الاثر عدد خاص: اشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية ،٢٠١٢م.
✓خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص ، راشد مدفون مخيف ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١١م .
✓من التماسك النصي في سورة يونس ، حسين راضي العايدي ، مجلة جامعة الأزهر، غزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ، مج ١٥ ، ع ٢ ، ٢٠١٣م .

Research Sources

 The Holy Quran
 Reference in Textual Grammar, Ahmad Afifi, Arabic Books, (n.d.), (n.d(.
 Textual Problems: A Textual Linguistic Study, Jumaan bin Abdul Karim, Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, 1st ed., 2009.

Principles of Discourse Analysis in Arabic Grammatical Theory (Establishing Textual Grammar), Muhammad Al-Shawoush, Al-Muassasa for Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2001.
Al-Bidaya wa'l-Nihaya (The Beginning and the End), Imad al-Din Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Dimashqi, revised, edited, and introduced by Professor Dr. Suhayl Zakam, Dar Maktabat al-Hilal, 1429 AH = 2008 CE.
Balaghat al-Nisaa (Women's Eloquence), Ahmad ibn Abi Tahir Tayfur (d. 280 AH), Dar al-Nahda al-Haditha, Beirut, Lebanon, 1972. Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, Muhammad Murtada al-Zabidi (d. 1205 AH), edited by Abd al-'Alim al-Tahawi, Kuwait Government Press, Kuwait, (n.d(.
Tarikh al-Umam wa al-Muluk, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1429 AH = 2008 CE.
Al-Tanassus fi Daw' al-Tahlil al-Lughawi lil-Khitab, Khalil ibn Yasir al-Batashi, Dar Jarir, Jordan, 1st ed., 2013 CE.
Nafsi min Wahi al-Qur'an, Dirasah fi Daw' 'Ilm al-Lugha al-Nasi, Mu'ayyad 'Ubayd Suwaynit, Dar al-Malak, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2009 CE.
Dirasat Lughawiyyah Tatbiqiyyah bayna al-Bunyah wa al-Dalalah, Dr. Sa'id Hassan Buhayri, Maktabat al-Adab, Cairo, 1st ed., 2005 CE. Zaynab al-Kubra: From Cradle to Grave, by Sayyid Muhammad Kazim al-Qazwini, Dar al-Qari' for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1424 AH (2003 CE.(
Sharh al-Mufassal by Muwaffaq al-Din Ya'ish ibn Ya'ish al-Nahwi, Dhu al-Qurba Publications, Qom, 1st edition, n.d.
Text Linguistics: Between Theory and Application (An Applied Study on the Meccan Surahs), by Dr. Ibrahim al-Fiqi, Dar Quba' for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 1st edition, 2000 CE.

Text Linguistics: Theory and Application, by Azza Shibl Muhammad, Maktabat al-Adab, Cairo, 1st edition, 2007 CE.
Text Linguistics: Concepts and Trends, by Dr. Sa'id Hassan Buhairi, Egypt, 1st edition, 1997 CE.
Text Linguistics and Style, by Dr. Nadia Ramadan al-Najjar, Horus International Foundation for Publishing and Distribution, Alexandria, 1st edition, 2013 CE. In the Rhetoric of Persuasive Discourse: A Theoretical and Applied Introduction to the Study of Arabic Rhetoric, with Rhetoric in the First Century as a Model, by Muhammad al-Amri, Dar al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Casablanca, 1st edition, 1986.
Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), by Izz al-Din Abi al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam al-Shaybani, known as Ibn al-Athir, edited by: Maktabat al-Turath, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1430 AH/2009 CE.
Lisan al-Arab (The Tongue of the Arabs), by Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur (d. 711 AH), Dar Sader, Beirut, (n.d.), 1968 CE.
Linguistics of the Text (An Introduction to Discourse Coherence), by Muhammad Khattabi, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1919 CE.
The Arabic Language: Its Meaning and Structure, by Dr. Tammam Hassan, Alam al-Kutub, Cairo, 5th edition, 1427 AH/2006 CE. Introduction to Text Linguistics (Problems of Text Construction), by Ztilav and Or Zinak, translated and annotated by Dr. Saeed Hassan Bahiri, Al-Mukhtar Publishing and Distribution Foundation, 1st edition, 2003.
Introduction to Text Linguistics, by Robert Beaugrande et al., Dar al-Kutub Press, 1st edition, 1992.
Meanings of Grammar, by Dr. Fadhil al-Samarrai, Dar al-Hikma Press, Baghdad, n.d.

□ Dictionary of Language Standards, by Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi (d. 395 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 CE.
□ Key to the Sciences, by Abu Yaqub Yusuf ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Ali al-Sakkaki, edited by Akram Uthman Yusuf, Dar al-Risalah Press, Baghdad, 1402 AH = 1982 CE. □ The Martyrdom of al-Husayn (peace be upon him) by the eminent scholar Sayyid Abd al-Razzaq al-Musawi al-Muqrim, Al-Nur Foundation for Publications, Beirut, Lebanon, 5th edition, 1423 AH = 2002 CE.
□ The Grieving for the Martyrs of Karbala, by Abu al-Qasim Ali ibn Musa ibn Ja'far ibn Tawus (d. 664 AH), edited and introduced by Faris Tabrizan al-Hassoun, Dar al-Uswah for Printing and Publishing, Tehran, 5th edition, 1434 AH.
□ Towards the Text (A New Approach in Grammatical Studies), by Ahmad Afifi, Zahra al-Sharq Library, Cairo, 1st edition, 2001 CE.
□ The Fabric of the Text (A Study of What Constitutes a Text), by al-Azhar al-Zanad, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1993 CE.
□ Text and Discourse: A Reading in the Sciences of the Qur'an, by Dr. Muhammad Abd al-Basit Abd, introduction by Dr. Salah Rizq, Al-Adab Library, Cairo, 1st edition, 2009.
Text, Discourse, and Procedure, Robert de Beaugrande, translated by Dr. Tamam Hassan, Alam Al-Kutub, Cairo, 1st edition, 1998.
The System of Connection and Linking in the Structure of the Arabic Sentence, Dr. Mustafa Hamida, The Egyptian International Publishing Company – Longman, Cairo, 1st edition, 1997.
Theses and Research Papers:
Textual Reference and its Impact on Achieving Cohesion in the Qur'anic Text: An Applied Study on Some Qur'anic Examples, Abdul Hamid Boutar'a, Al-Athar Journal, Special Issue: Proceedings of the First National Symposium on Linguistics and Narration, 2012.

The Sermons of Imam Ali (peace be upon him) in Nahj al-Balagha: An Approach in Light of Text Linguistics, Rashid Madfoun Mukheef, Master's Thesis, Al-Qadisiyah University, College of Education, Department of Arabic Language, 2011. □ On textual cohesion in Surah Yunus, Hussein Radi Al-Aidi, Al-Azhar University Journal, Gaza, Humanities Series, Vol. 15, No. 2, 3013 AD.